

شهادة حية عن ناجي من مجزرة واد وجدان

بالعنصر، منطقة جيجل

أ. شكري عبد المنعم

تابعت دراستي في المدرسة الابتدائية بمسقط راسي، ثم المرحلة المتوسطة بمتوسطة التهذيب بمدينة الميلية والمرحلة الثانوية ب ثانوية الكندي بجيجل. بعد البكالوريا التحقت بمعهد تكوين أساندة التعليم الأساسي للغة العربية، وهي المهنة التي مارستها إلى التقاعد. عشت أغلب حياتي في مسقط رأسي بالعنصر. تعلق قلبي بهذه البلدة الصغيرة الوديدة، وبناحيها الجميلة، وبوديانها، وجبالها، وسهولها، وساحل البحر القريب منها. أردت أن أعرف بها وبجمالها من خلال موقع الكتروني أنشأته على الشبكة العنكبوتية. كان من بين اهتماماتي كذلك التعريف بقبائلها وتاريخها. مما ميز تاريخها، مجزرة استعمارية ارتكبتها الاستعمار الفرنسي في حق مواطنين عزل في يوم عيد الفطر الموافق ل 11 ماي 1956. ذكرت هذه المجزرة في مدونتي (موقعي الالكتروني)، وسجلت قائمة بأسماء شهدائها، وقدمت لهذه القائمة بجملة باللغة الفرنسية:

Voici le cadeau que la civilisation française nous a donné un jour de l'aide en Martyrs 73 .. 1956 معناها (هذه هي الجائزة التي قدمتها لنا الحضارة الفرنسية في يوم عيد الفطر الموافق ل 11 ماي 1956.. 73 شهيد).

تلقيت تعليقاً على هذه المجزرة من عسكري أمضى خدمته العسكرية في نواحي العنصر، طلب مني أن أوافيه بقائمة شهداء مجزرة بني وجهان مترجمة إلى اللغة الفرنسية ليسجلها في مدونته، وذكر لي أنه أمضى عشر سنوات في البحث عن حقيقة هذه المجزرة عبر الشبكة العنكبوتية ولم يجد شيئاً. ترددت في التواصل معه في البداية، لأنه باختصار، عسكري من بين العساكر الدين كانوا في الجزائر يحاربون ويقتلون. ثم اطلعت على مدونته التي عنوانها (Ma guerre d'Algerie حربي في الجزائر) واكتشفت أنه من خلال

هذه المدونة كان يسجل أحداثا يبرز من خلالها بعض تجاوزات الاستعمار الفرنسي أثناء تواجده في تلك الفترة في الجزائر. فقررت ان أرسل له قائمة شهداء مجزرة بني وجهان مترجمة ومجردة، دون تحية ا وتعليق. فرد علي بشكري على قائمة الشهداء، وأخبرني أنه عرف بأني متردد في التواصل معه، لأنه عسكري سابق في الجيش الفرنسي، وبدأ يبين لي أنه لم يكن مشاركا في المجزرة، وأن يديه غير ملطخة بدماء الجزائريين، وأنه كان من معارضي الحرب بعد إكماله لخدمته العسكرية. رددت عليه أنني فعلا متردد في التواصل معه ولكن لأسباب أخرى ذكرتها له تتمثل أساسا فيما تركته أثار هذه المجزرة من الألم في نفسي طبعته حياتي. تواصلت المراسلات بيني وبينه.

كنا نتناقش حول المجزرة فقط. هذه المناقشة كانت تدور أساسا حول ما كنت أراه من نية مبيتة من طرف قادة الجيش في المنطقة في ارتكاب المجزرة وما كان يراه ه وفي أن المجزرة ناتجة عن رد فعل كان سببه قتل عسكري برصاصة يعتقد أنها آتية من المشتى. فاندفعت إلى البحث والسؤال والتعمق في التعرف على حيثيات أحداث هذه المجزرة لأدحض رؤيته. وما ساعدني في هذا العمل، كوني من المنطقة، أعرفها وأعرف أهلها. والكثير من أبناء وأقارب ضحايا المجزرة، هم من زملائي في الدراسة. استمرت المراسلات بيننا حوالي أربعة أشهر، ثم رأى أن يكلم مؤرخة عني تدعى كلير موس كوبو، كانت هذه المؤرخة مهتمة بتاريخ الجزائر. ذكر لي أنها مؤرخة جيدة، وطلب مني الاذن في أن يعطيها عنواني الالكتروني. كانت رغبتني أن أتعرف عليها قبل الموافقة. سبحت بكتابة اسمها في محرك البحث في الشبكة العنكبوتية وتعرفت على اتجاهاتها من خلال ما وجدته عنها. عندها وافقت. بعد يومين راسلني هذه المؤرخة عارضة علي التعاون في تأليف كتاب حول مجزرة بني وجهان. رددت عليها أنني لست مؤرخا أو باحثا وإنما أنا مدون بسيط مهتم بالتعريف ببلدته. فعرضت علي أن نحاول على أمل أن يثمر العمل. بدأنا العمل بعد أن اتفقنا على خطة عمل تتمثل في أن يقوم كلانا بالبحث كل في جهته، أنا أبحث مع أقارب الضحايا والناجين من المجزرة وملابسات الحدث. وهي

تبحث مع من قبل الإدلاء بشهادته من الجنود الفرنسيين الحاضرين في المجزرة وتبحث في الأرشفة. هذا العمل دام سنتين أثمر كتاباً رفع اللثام عن هذه المجزرة وحقائقها المثيرة وعنوانه: La source, mémoires d'un massacre, Oudjehane 11 mai 1956 Editions Payot 2013

يعتبر هذا العمل تجربة فريدة من نوعها في كتابة التاريخ والبحث عن الحقيقة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط

من خلال سردي لما تقدم، أردت فقط أن أبرز ما دفعني إلى البحث المعمق في موضوع المجازر الاستعمارية في منطقة العنصر ولاية جيجل، ورفع الستار على أحداث يكاد النسيان يلفها داعيا الباحثين المتخصصين أن ينكبوا على تناولها بدراسات أكاديمية تحفظ لنا ذاكرة الأمة وتاريخها.

-المجازر الاستعمارية أشكالها وأنواعها

عادة ما يتبادر إلينا عند الكلام عن المجازر الاستعمارية في الجزائر، ما وقع منها في مدن: سطيف خراطة وقلمة. ففي الثامن من ماي 1945، أقدم الاستعمار الفرنسي على ارتكاب أبشع مجازره وأكبرها، ذهب ضحيتها في بضعة أيام أكثر من 45 ألف ضحية.

حقيقة أن مجازر الثامن ماي تعتبر البصمة الكبرى في جبين الاستعمار الفرنسي، ولكن مجازره في حق الشعب في الحقيقة، قد بدأت مند وطأ هذه الأرض الطاهرة سنة 1830، وهي كثيرة جدا، وعدد ضحاياها بمئات الآلاف أو بالملايين. بدأت مجازره عندما بدأ الشعب الجزائري يتصدى لحملاته في عمق الوطن، حيث كان يعتمد استهداف المواطنين العزل في قراهم بالقتل، ثم يقوم بإحراق منازلهم وممتلكاتهم ويستغل جنرالاته أرقام الضحايا العزل لتضخيم انجازاتهم ضد المقاومة الشعبية واستمرت هذه المجازر إلى ما بعد ثورة بوعمامة. ثم واصل ارتكاب مجازره بأساليب أخرى إبان الحرب العالمية الأولى، وببشاعة اكبر، تمثلت في تجنيد الشباب الجزائري بعضهم لا يزيد عمره عن 18 سنة، ليزجوا بهم في الصفوف الأولى لحربهم ضد ألمانيا، فيقضوا نحيم هناك، ويدفنوا، ولا تعود إلا إخبارهم المحزنة مع القلة

القليلة التي قدر الله لها بقية من العمر. ثم تأتي الحرب العالمية الثانية ليعيد التاريخ نفسه، ويسقط عشرات الآلاف من الجزائريين في الصفوف الأولى دائما لحروب فرنسا دفاعا عن أرضها، ولكن هذه المرة مع المكافأة التي قدمها الاستعمار للشعب الجزائري والمتمثلة في مجازر الثامن ماي 1945 التي نعرفها، وجاءت ثورة التحرير الكبرى سنة 1954، لتستمر مجازر الاستعمار في حق الشعب الجزائري .

اتخذت هذه المجازر أشكالاً وأنواعاً. كانت كلها تتشابه في كونها تستهدف المدنيين العزل، وتتشابه في مصير هؤلاء المدنيين، ووزع الحياة منهم بالقتل بدم بارد.

ومن أشكال وأنواع المجازر التي كان الاستعمار يرتكبها في حق الجزائريين نذكر أهمها:

أولاً: جمع المدنيين في مكان واحد ثم قتلهم بدم بارد
ثانياً: اعتقال المواطنين والتحقيق معهم باستعمال وسائل التعذيب وأشهرها المولد الكهربائي المسمى....La gegène، ثم تصفية المشتبه فيهم بأحدهم إلى مكان خال، يوهمونهم بأنهم أطلقوا سراحهم، ثم يطلقون الرصاص عليهم من الخلف وتسمى هذه العملية.. Corvet de bois.

ثالثاً: القتل كرد فعل على كل عملية يقوم بها المجاهدون ضد الفرنسيين

رابعاً: إعلان حضر التجول على المواطنين، ثم تصفية كل من يتحرك

خامساً: قنبلة المواطنين بالنابالم

سادساً: تصفية المواطنين بصفة فردية

هذه الأشكال من المجازر الاستعمارية حدثت على الأقل فيما سادلي به من شهادة حول مجازر الاستعمار إبان الثورة التحريرية في بلدية العنصر.

نص شهادتي حول المجازر الاستعمارية في بلدية العنصر

بالأطفال والنساء الشيوخ والرجال ضحايا هذه المجازر، بالأرامل واليتامى الدين وقفوا ولا يزالون يقفون أمام أضرحة ذويهم يدعون لهم بالرحمة والمغفرة، بالأقارب والجيران الذين يتذكرونهم فتذرف العيون الدموع، برجال أبوا أن يروا ستار النسيان يلف ذكراهم، بالباحثين عن الحقيقة المنسية حول مجازر الاستعمار الفرنسي، بالوكالة عن هؤلاء جميعا جئت لأقدم هذه الشهادة أمام إخواني راجيا من الله تعالى أن يوفقني في البلاغ، ولأساهم في إعطاء دفع جديد في اتجاه البحث عن الحقيقة وحفظ الذاكرة في المنطقة التي عشت فيها مند ولادتي ولا أزال في الشمال الشرقي من الجزائر وفي ولاية جيجل وفي بلدية العنصر وفي بقعة صغيرة لا تزيد مساحتها عن عشرة كيلومترات مربعة (لن يعرف المنطقة من بني وجهان إلى الحد بيني مسلم إلى أزيار بيني عيشة إلى دريب المال بأولاد عواط) وقعت ست مجازر في ظرف زمني لا يزيد عن عشرة أشهر ذهب ضحيتها بين 250 إلى 300 شهيد مدني ارتكبتها كتائب من الجيش الفرنسي تنتمي إلى الفرقة الرابعة من القناصين المترجلين La 4eme Bcp (هذه الكتائب كانت تحت قيادة النقيب روس Rousseau والملازم الأول برين ور و Bruno Roux الذي ارتقى في رتبته إلى أن أصبح جنرالا وه ولا يزال على قيد الحياة بعد أن تقاعد.

المجزرة الأولى: مجزرة بني وجهان

في اليوم 11 من شهر ماي سنة 1956 الموافق لعيد الفطر المبارك وفي مشق بني وجهان على بعد كيلومترين شرق قرية العنصر أقدم الاستعمار الفرنسي على ارتكاب أولى مجازره الكبرى والبشعة في المنطقة وهذا بواسطة الكتيبة الأولى من الفرقة الرابعة للقناصة المترجلين المتمركزة في قرية العنصر. كانت هذه الكتيبة تحت قيادة النقيب روس و والملازم الأول برين ور و. كانت مشق بني وجهان عبارة عن سفحي جبلين يتوسطهما واد صغير يصب في وادي الرمال الذي يحمل بالقرب من مصبه اسم الوادي الكبير. كان سكان بني وجهان يستعدون في هذا اليوم للاحتفال بعيد الفطر بعد صيام الشهر

المبارك بدأ الرجال يتوافدون إلى المسجد الجامع في المشى لأداء صلاة العيد وبدأت النسوة في تحضير أطعمة العيد التقليدية وانطلق الأولاد للعب بالقرب من منازلهم ولكن فجأة حدث ما كدر على الناس فرحتهم. بدأت طائرات العد والفرنسي بالتحليق فوق المنطقة، تبعها قوات المدفعية بقنبلة محيط المشى بواسطة المدافع، ثم بدأ حصار المشى من جهتي الشمال والجنوب وانطلق العسكر في تمشيها من جهتي الشرق والغرب. كان العسكر يقتحم كل المنازل في طريقه، ويقوم بتفتيشها، واعتقال كل الرجال الذين يصادفهم داخلها ثم يخرجهم ويدفعهم أمامه في رتل محاصر. بعض المواطنين اعتقلوا أثناء تواجدهم خارج مساكنهم. سيق أغلبهم إلى منطقة في الشمال الشرقي من المشى تسمى الدمنة دي البلوط. هناك قام العسكر بدفع المواطنين في صف بموازة الغابة المجاورة. يروي احد الناجين وأسمه الباز جودي وكان يفهم اللغة الفرنسية أنه كان في إحدى جهتي صف المعتقلين بالقرب من المسؤول القيادي للعسكر فسمع الضابط يحدث مجموعة من عساكره طالبا منهم أن يسددوا على رؤوس الخلق قائلا لهم باللغة الفرنسية *Tirez sur la tete*. .. فتيقن هذا الشاهد الناجي أن نية العسكري القتل. فمال إلى زميله المتواجد إلى جانبه، واخبره بما سمعه من الضابط. وما هي إلا لحظات حتى انطلق وابل من الرصاص. .. ليحصد أرواح المواطنين العزل فلا ينج ومنهم إلا شاب في السادسة عشر من العمر ترك كميته بجروحه البليغة واثنان استطاعا السقوط إلى الخلف في الغابة والهروب في منحدرها لينتهي المشهد الأول من مجزرة بني وجهان. في عملية القتل هذه سقط احد العساكر قتيلا يرجح أن تكون رصاصة طائشة أ ويران صديقة أردته قتيلا. ينطلق المشهد الثاني على بعد مائتي متر، في منازل عائلي لعسل والسوفي، حيث كانت مجموعة من العساكر تحتجز عددا من الرجال وتفتش في المنازل عمن تخلف. كان النسوة يصرخن ويحاولن منع العساكر من أخذ أزواجهن وأبنائهن. كان العسكر ينزع الرجال من أيدي الزوجات والأمهات نزعا، ثم قاموا بأخذ الرجال إلى مكان يبعد حوالي ثلاثين

مترا، وأطلقوا عليهم الرصاص. لم ينج منهم أحد. تصاعد صراخ وعويل النسوة والأطفال وهم يشاهدون أبناءهم وآباءهم يسقطون قتلى. عندها توجه العسكر إلى المنازل وبدأوا يصرخون في وجه النسوة والأطفال لإسكاتهم دون جدوى. ثم رأوا أن يسكتوهم إلى الأبد برصاص بنادقهم وبدأوا يطلقون النار على كل صوت أو حركة تصدر ممن تبقى من الأطفال والنساء. ويروي احد الناجين (واسمه قادر احمد المدع ومختار) الذي جرح في بطنه وكان عمره آنذاك عشر سنوات أن العسكر كان يستهدف كل شيء يتحرك حتى انه سمع بكاء في منزل فرمى قنبلة داخله انفجرت فيمن كان بداخله. هذا المشهد الثاني من مجزرة بني وجهان كان الأكثر بشاعة حيث كان أغلب ضحاياه أطفال ونساء وشيوخ. وقد أحصينا أحد عشر طفلا. تسعة أعمارهم أقل من اثنتي عشرة سنة والعاشر عمره ستة عشر سنة وآخرهم رضيع عمره شهرين تسع من النسوة. منهن عجوزان إحداهن تبلغ من العمر 74 والأخرى 62 ثلاثة شيوخ تتراوح أعمارهم بين 66 و74 سنة أحد الشيوخ معاق.

لقد تركت هذه البقعة من المشى صامته ساكتة. أجساد صامته أسكتها الرصاص إلى الأبد وأخرى في مخبئها ألجمها الخوف وهول المشهد المرتسم أمامها.

طوى الصمت المشهد الثاني من مجزرة بني وجهان لينطلق العساكر في أحداث المشهد الثالث، حيث استمروا في تجميع الرجال الدين اعتقلوا بعد المجزرتين الأولى والثانية. خلال أحداث المشهد الأول والثاني من المجزرة، وفي ناحية أخرى من المشى صادف عسكري فتاة تحمل جرة ماء عائدة من عين المشى فأراد الاعتداء عليها، صرخت مستغيثة، سمعها أبوها فهب لنجدها، أمسك العسكري بين ذراعيه وأسقطه أرضا. هربت البنت، رأى عسكري ثان زميله متبث أرضا وأب والبنت فوقه، فأطلق طلقة على الأب أردته قتيلا وأصابت زميله بجرح بليغ. كان بعض المعتقلين (في هذه الفترة الأخيرة من هذه الأحداث) من مشى مجاورة. كانوا آخر من يعتقل من الرجال. قررت قيادة العسكر أن تغادر مشى بني وجهان وقفلت راجعة. أمر المعتقلون بعمل

العسكريين القتل والجريح على محملين. عند بلوغ شاطئ الوادي الكبير بالناحية الجنوبية من المشقى فصل الرجال المنتمون إلى بني وجهان عن رجال المشقى المجاورة، وصففوا على حافة الوادي وظهورهم إلى مجراه، ثم أطلق عليهم وابل من الرصاص لتتوقف أنفاسهم ويجرهم الماء إلى مسافات بعيدة اجتاز العساكر الوادي الكبير إلى الضفة الأخرى ليتمطوا شاحناتهم تاركين المشقى تبكي أبناءها شهرا كاملا.

عاد القلة من الرجال الدين تمكنوا من الهروب إلى الغابة، ليكتشفوا هول المجزرة. رجال، نساء، أطفال، شيوخ، يلفهم صمت أبدي. صراخ وعويل في كل منزل. من يعزي من؟ كل مشغول بمصيبته. وصل القليل من رجال المشاتي المجاورة. ولأن الليل بدأ يسدل رداءه لم يتعرفوا على كل المشاهد من المجزرة. في الصباح الباكر، أقبل الناس من كل القبائل والمشاتي المجاورة ليقفوا على بشاعة لم يسبق لهم ان شاهدها في حياتهم. فقاموا بجمع جثث الضحايا ودسها في التراب. بعضها في حفر جماعية. بلغ عدد ضحايا مجزرة بني وجهان حوالي 70 شهيدا وثقت أسماء 62 منهم.

لم يكن سكان القبائل المجاورة يعلمون أنهم جاؤوا ليحضروا نهاية الفصل الأول من مجازر هذا الاستعمار في هذه المنطقة، وأن بني وجهان ما هي الا المسرح الأول لمجازر أخرى.

-المجزرة الثانية: مجزرة سوق العنصر

لم يمض إلا شهر واحد، حتى انطلق الفصل الثاني لمجزرة السوق في قرية العنصر. في يوم العاشر جوان (يوافق ذكرى نفس يوم مجزرة اورادور في فرنسا) سنة 1956، في هذا اليوم، كان المواطنون يتوافدون إلى السوق الأسبوعي لقضاء حوائجهم. وكان من عادة الكتيبة الأولى المتمركزة في القرية أن تمنح رخص المرور لبعض المواطنين الراغبين في المغادرة إلى المدن المجاورة. كان بعض العساكر قد وضعوا طاولة بالقرب من السوق جلس أمامها عسكري، وشرع يحرق بعض الرخص لبعض المواطنين كانوا قد اصطفوا في طابور. في هذا اليوم، تسلل أحد المجاهدين إلى السوق، وتقدم

من خلال الطابور إلى طاولة العسكري. وما أن أصبح على مسافة قريبة منها، حتى أخرج مسدسا وأطلق رصاصة أردت العسكري قتيلا. كان هذا المجاهد يعتقد أنه قتل النقيب روسو، ولكن لم يكن القتل إلا عسكريا إداريا، ما أن رآه زملاءه ملقا على الأرض جثة هامة حتى وجهوا أسلحتهم إلى جهة المواطنين، وبدأوا في إطلاق الرصاص عشوائيا. أنطلق الناس في كل الاتجاهات، ولكن الموت أدرك الكثير منهم قبل الابتعاد عن مرمى البنادق. لم تمض إلا دقائق حتى وصل عدد أكبر من العساكر، وبدأوا يمشطون الجهة، ويقتلون كل من يتحرك أمامهم. استمر الحال على هذا الأمر حتى المساء. كانت جثث المواطنين متناثرة في كل مكان. لم يجرء أحد على الاقتراب منها حتى اليوم الموالي، حيث سمح للناس بنقل موتاهم. جاء الأهالي والخوف يعصرهم لينقلوا جثث دويهم على الحمير والبغال. بقيت بعض الجثث إلى اليوم الثالث يعود بعضها إلى تجار جاؤوا من قرى بعيدة. استشهد في هذه المجزرة حوالي خمسين شهيدا.

-المجزرة الثالثة: مجزرة ازيار

في العشرين من أوت أقدمت هذه الكتيبة بقيادة النقيب روس ووالملازم الأول برين ور وعلى اعتقال 11 شيخا من مشى ازيار ليساقوا إلى مجزرة مروعة قتلوا فيها بدم بارد وما يميز هذه المجزرة ه وعمر ضحاياها حيث يبلغ اغلهم أزيد من ستين عاما.

-المجزرة الرابعة: مجزرة بني مسلم

في 30 سبتمبر 1956 أقدم المجاهدون على نصب كمين محكم ببني مسلم، لقافلة عساكر كانت عائدة إلى مكان تمركزها بمنطقة أيدم، تكبد فيها العد وتسعة قتلى واحد عشر جريحا من مجموع 24 عسكريا. لم يطق المسؤولون الكبار في الجيش الفرنسي هذه الضربة الموجهة من المجاهدين. ولعجزهم في الوصول والانتقام ممن حطم كبرياءهم قرروا الالتفات إلى الشعب الأعزل في المنطقة، وأعلنوا حضرا للتجول لمدة 45 يوما، ليخل ولهم الجوز لثياب مجزرة أخرى، سقط فيها على مدي أيام حضر التجول 52 مدنيا شهيدا.

الاستعمار في قتلهم. يروي أحد الشهود (وهو والمجاهد بوطف أحسن) أن الجنود الفرنسيين ألقوا القبض على مواطنين اثنين بالقرب من كوخ. فقاموا بإدخالهما الكوخ وربطهما، ثم أضرموا النار فيه، وحرصوا على رؤية المشهد، ولم يغادروا المكان حتى تفحمت جثتهما. عندما أخدهما أهلها، لم يتعرفوا عليهما إلا بواسطة سن أحدهما الذي كان من فضة. ويذكر شهود آخرون أن مجموعة من المواطنين قرروا أن يتقدموا بتظلم إلى المسؤول الأكبر للكتائب العسكرية المتواجد بقرية العنصر وذلك مما أصابهم جراء حضر التجول. وتوجه حوالي الأربعين فردا نح والقرية. فاعترضهم مواطن متقاعد من الجيش الفرنسي، وأفهمهم أنهم ذاهبون ليلقوا بأنفسهم في فم الأسد المجروح، وحثهم على العودة إلى منازلهم. لم يسمعوا كلامه، لكنهم خفضوا عددهم إلى حوالي عشرة، حملوا علما ابيض، وتوجهوا إلى معسكر العنصر. وما إن وصلوا إلى الجسر في المدخل، حتى اعتراضهم العساكر، ودون سؤال، استقبلوهم بوابل من الرصاص، فأردوهم قتلى. ولم ينج منهم أحد.

-المجزرة الخامسة: مجزرة دريب المال بأولاد عواط

ضحايا هذه المجزرة من قبيلة أولاد عواط، وقعت في النصف الثاني من شهر جانفي سنة 1957 ذهب ضحيتها 6 أشخاص، قصبتهم أنهم فضلوا العمل في إزالة الغابة والأحراش من محيط مكان تتركز الكتيبة الثالثة، ولم يلبوا دعوى العمل في مركز قرية العنصر، حيث تتركز الكتيبة الأولى التي يقودها السفاح النقيب روسو. فبعث روس والملازم الأول برينور وإلى الكتيبة الثالثة حيث تم اعتقال 6 أشخاص من مكان عملهم (منهم أحد أقارب) وساقوهم نحو العنصر، وفي الطريق توقفت الشاحنة التي كانت تقلهم، وأنزلوهم بالقرب من الوادي الكبير قرب جسر السكة الحديدية، على بعد ثلاثة كيلومترات شرق العنصر، ثم قاموا بتصفيتهم وتركوهم غرقى في دمائه.

-المجزرة السادسة: مجزرة ارجانة

هذه المجزرة ذهب ضحيتها أكثر من 15 عشر مدنيا. وكان العدد سيكون أكبر

بكثير، لولا لطف الله الذي قدر سببا، منع به مجزرة أكبر. قصة هذه المجزرة أن العساكر الفرنسيين قاموا باعتقال حوالي 70 مواطنا من قبيلة أولاد عواط، وأحضروهم إلى العنصر ثم احتجزوهم في مكان يسمى (المكتب الثاني) وقرروا البدء في تصفيتهم فاختاروا مجموعة من 15 مواطنا وساقوهم إلى وادي ارجانة القريب، (وهو احد روافد الوادي الكبير، والذي اعتاد المكتب الثاني تصفية المواطنين الذين يعتقلهم بضافه)، ثم قاموا بتصفيتهم وعادوا ليأخذوا مجموعة ثانية. وبالفعل اختاروا 15 مدنيا آخرين. عرف أفراد المجموعة الثانية أن مصيرهم هو الموت لأنهم سمعوا طلقات الرصاص على المجموعة الأولى من زملائهم. وكان من بين هذه المجموعة الثانية شيخ متقاعد من الجيش الفرنسي كان برتبة مساعد. تقدم هذا الشيخ إلى الضابط المشرف على عملية هذه المجزرة، وخاطبه بلغة فرنسية راقية، بين له أنه كان صف ضابط في الجيش الفرنسي، وأن الجيش الذي كان ينتمي إليه لم يكن ليقتل الأبرياء العزل وأن فرنسا التي تقتل مواطنيها ليست هي فرنسا التي انخرط في جيشها. ثم عرض أمام الضابط الفرنسي وثائق تثبت انتماءه للجيش الفرنسي قبل تقاعده. قرأ الضابط الفرنسي الوثائق وأطرق برأسه، ثم أمر بإخلاء سبيل بقية المواطنين. كان هذا المواطن الذي انتفض في وجه القتلة بغير حق وصرخ صرخة اليأس في وجوههم مذكرا إياهم بعدم مشروعية ما يرتكبون من مجازر، كان وجوده ضمن المعتقلين سببا في نجاتهم من مصير الموت المحتوم.

هذه مجموعة من المجازر الاستعمارية التي ارتكبتها الاستعمار في بقعة صغيرة من هذا الوطن، وفي زمن قصير لايزيد عن العشرة أشهر، قام بتنفيذها أفراد الفرقة الرابعة من القناصين المترجلين. هذه المجازر هي عينة صغيرة موثقة من آلاف المجازر الاستعمارية التي تنتظر التوثيق ورفع اللثام عنها وتبينها إلى الرأي العام المحلي والدولي لكشف إجرام هذا الاستعمار من جهة، وإعادة الاعتبار لأهالي الضحايا الذين يشعرون بأن ذاكرة أبنائهم الذين

قتلوا ظلما وعدوانا تحتاج إلى كشف الوجه الحقيقي لممارسات المستعمر الفرنسي وجره إلى الاعتراف بهذه المجازر.

وفي الأخير أتوجه بنداء إلى كل الباحثين في تاريخ الجزائر عموما والثورة التحريرية على الخصوص بتسليط الأضواء على جرائم الاستعمار في كل جهات الوطن وما أكثرها حتى نتمكن من توثيقها وحفظ ذاكرتها من الضياع. وأنبه الإخوة إلى الإسراع في العملية، لأن شهود هذه المجازر يذهبون، وكلما ذهب شاهد، خسرنا ذاكرة. وهذا ما عاينته بنفسي أثناء البحث في المجازر التي قدر الله عز وجل أن تعود إلى ذاكرتنا بعد أن كاد النسيان يطويها.

رحم الله الشهداء وأسكنهم فسيح جناته.